

حِكَايَاتُ أَلْفِ لَيْلَةٍ

10

المدينة المسخوطة

بقلم: د. عبد الحميد عبد القصور

رسوم: د. إسماعيل دياب

إشراف: د. حمدي مصطفى



أنتشر
المؤسسة العربية الجديدة
بيروت - لبنان
1997
الطبعة الأولى: 1997

لَمَّا انْتَهَى الصُّعْلُوكُ الثَّالِثُ مِنْ حِكَايَتِهِ ، نَظَرَتْ صَاحِبَةُ
الْبَيْتِ إِلَى الْخَلِيفَةِ (هَارُونَ الرَّشِيدِ) وَوَزِيرِهِ (جَعْفَرُ) وَالسِّيَافِ
(مَسْرُورِ) وَهُمْ مُتَتَكِرُونَ فِي هَيْئَةِ تَجَارٍ ، وَقَالَتْ لَهُمْ :
- وَأَنْتُمْ مَا حِكَايَتَكُمْ أَيُّهَا التُّجَّارُ ؟

فَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ (جَعْفَرُ) وَحَكَى لَهَا مَا حَكَاهُ لَهَا مِنْ قَبْلُ مِنْ
أَنَّهُمْ تَجَّارٌ ضَلُّوا طَرِيقَهُمْ ، فَقَالَتْ صَاحِبَةُ الْبَيْتِ :
- قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ ، اذْهَبُوا لِحَالِ سَبِيلِكُمْ ..

وَأَمَرَتْ عَبِيدَهَا أَنْ يُطْلَقُوا سَرَاحَهُمْ ..
فَلَمَّا غَادَرُوا الدَّارَ قَالَ الْخَلِيفَةُ (هَارُونَ) لِلصُّعَالِيكِ الثَّلَاثَةِ :
- إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ وَأَيْنَ تَبِينُونَ لِبَيْتِكُمْ ؟
فَالْتَفَتَ الصُّعَالِيكِ لِبَغْضِهِمْ ، وَقَالُوا :
- لَا نَدْرِي ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ - (جَعْفَرُ) :
- خُذْهُمْ وَأَحْضِرْهُمْ عِنْدِي غَدًا .. وَأَحْضِرِ الْفَتَيَاتِ الثَّلَاثِ
أَيْضًا وَالْكَلْبَتَيْنِ ، حَتَّى أَقِفَ عَلَى أَمْرِهِنَّ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَحْضَرَ (جَعْفَرُ) الْفَتَيَاتِ الثَّلَاثِ وَالْكَلْبَتَيْنِ ،
وَأَحْضَرَ الصُّعَالِيكِ الثَّلَاثَةَ إِلَى قَصْرِ (هَارُونَ الرَّشِيدِ) ، وَبُهِتَ
الْجَمِيعُ عِنْدَمَا عَلِمُوا أَنَّ التُّجَّارَ الثَّلَاثَةَ هُمُ الْخَلِيفَةُ وَوَزِيرُهُ
وَسَيَّافُهُ ، وَطَمَأَنَّهُمُ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ قَالَ مُخَاطِبًا النِّسَاءَ الثَّلَاثَ :



- ما هي حكايتُكُنْ ، وما هي حكاية هاتين الكلبيتين ؟

فتقدّمتْ صاحبة البيت قائلة :

- إن لي حكاية أعجب من العجب ، وسوف أقصّها عليك

يا أمير المؤمنين ، حتى تروا دهشتك ..

فقال (هارون الرشيد) :

« أرجو ذلك »

وبدأت صاحبة البيت تحكي قصتها قائلة : إن هاتين
الكلبتين هما أختاهما شقيقتاهما من الأب فقط ، ولكن من أم
أخرى غير أمها هي .. وقد مات والدها تاركا لهن ثروة تقدر
بحوالى خمسة الاف دينار .. وأنها كانت أصغر من أختيها ..
وأن كل واحدة من أختيها قد تزوجت ، ورحلت مع زوجها
التاجر ، وقد أخذت أختاهما الثقود التي تركها والدهن ، ولم
يترك لهما سوى مبلغ ضئيل جدا ، لكنها استطاعت أن تنمي
هذا المبلغ الصغير في التجارة ، حتى بارك الله فيه وصار
كبيرا ..

وبعد خمس سنوات كانت قد كوّنت ثروة لا بأس بها ، لكن
أختيها عادتا إليها فقيرتين ، بعد أن فقدت كل منهما ماله ،
وظلّعت من زوجها .. فسألها الخليفة (هارون الرشيد) قائلاً :
- وماذا فعلت مع أختيك عندما عادتا إليك فقيرتين ؟
فجالت صاحبة البيت :

- استقبلتهما أحسن استقبال ، وأكرمتهما غاية الإكرام
فعاشتنا معي تنفقان من مالي وتشتريان أفخر الطعام ، حتى
كان ذات يوم ، فجهزت مركبا بالبضائع للسفر به إلى الهند ،
فقلت لأختي : هل ترغبان في البقاء هنا ، حتى أسافر
ببضاعتي إلى الهند ، أم تأتين معي ؟ فقالتا : بل نأتي معك ،



لأننا لا نَقْدِرُ على فراقكِ لحظَةً ..

فوافقتُ على سفرهما معي ، وكان معي مبلغٌ كبيرٌ من المال ،
 فأخذتُ نصفَهُ ، وخبأتُ النصفَ الآخرَ في منزلي .. وهكذا
 سافرنا نحنُ الثلاثُ مع البضاعة .. وبعد أن سِرْنَا في البحرِ
 عشرينَ يوماً ضَلَّ البَحَّارَةُ ورئيسُ المَرَكَبِ الطَّرِيقَ ، فتاهت
 المَرَكَبُ في بحرٍ غَيرِ الذي تُريدُهُ - ونحنُ لا نَعْلَمُ ذلك - ودخلتُ
 في بحرٍ آخرٍ ..

وبعدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ من السَّفَرِ ظهرتْ لنا مَدِينَةٌ على البُعْدِ ، فقلتُ

الرئيس : ما هذه المدينة ؟ فقال مستنكرا : هذا الطريق
ما سرت فيه من قبل ، وهذه المدينة ما رأيتها .. فقلت له :
وما العمل الآن ؟ فقال الرئيس : من رأيت أن تدخلوا هذه
المدينة وتخرجوا بضائعكم ، فتبيعوها وتربحوا وتشتروا
بضائع غيرها ..

فقلت في نفسي : هذه هي الفكرة .. ورست المركب على
ساحل تلك المدينة ، ثم نزل منها الرئيس لاستطلاع المدينة ،
وبعد قليل عاد ، ليقول لنا ، والدّهشة تملأ وجهه : اخرجوا
إلى هذه المدينة ، حتى تتعجبوا من صنعه في خلقه ، وتستعجبوا
من من خلقه ..

وسكنت صاحبة البيت قليلاً ، ثم قالت :

- نزلنا من المركب وتوجهنا إلى أبواب المدينة ، فرأينا
حراساً واقفين على الأبواب ، وبأيديهم حراب وعصى ، لكننا
عندما اقتربنا منهم وجدناهم مفسوخين أحجاراً سوداء ،
فتملكنا الدهشة من ذلك ، وعندما دخلنا الأسواق وجدنا كل
البضائع باقية على حالها ، خاصة الذهب والفضة والجواهر
والأحجار الكريمة .. وتفرقنا في شوارع المدينة ..

وكان من حسن حظي أنني اتجهت إلى قصر الملك ، فوجدت
فيه كل شيء من الذهب والفضة .. ورأيت الملك جالساً في



كُرْسِيَّهِ ، وَخَوْلَةَ حُجَابِيَّةٍ وَوُزْرَاؤُهُ وَنَوَابِيهَ وَحَوْلَةَ حُرَّاسَتِهِ ،
يُمَسْكُونَ بِالْحَرَابِ .. وَكُلُّ شَيْءٍ مُرَصَّعٌ بِالْجَوَاهِرِ الْكَرِيمَةِ ،
وَقَدْ تَحَوَّلَ الْجَمِيعُ إِلَى حِجَارَةٍ .. وَعِنْدَمَا جَوَلْتُ فِي رِنْدَهَاتِ
الْقَصْرِ وَغُرَفَاتِهِ ، وَجَدْتُ كُلَّ الْأَحْيَاءِ مَمْسُوخِينَ حِجَارَةً .. وَفِي
النِّهَايَةِ رَأَيْتُ أَبَا مَقْتُوحًا قَدْ خَلَّتْهُ ، فَوَجَدْتُ فِيهِ سَلْمًا بِسَبْعِ
دَرَجَاتٍ ، فَصَعِدْتُ فِيهَا فَدَخَلْتُ غُرْفَةً مَفْرُوشَةً بِالسَّجَاجِيدِ الْفَاخِرَةِ ،
وَجَدْتُهَا مِنَ الرُّخَامِ الْمَصْقُوقِ ، وَفِي وَسْطِهَا سِتْرِيضٌ مِنْ

المَرْمَر المُرصع بالذَّر والجَوْهر ، وعلى كرسى مذهب رأيتُ
جَوْهرة مُضيئة بحجْم بيضة النعام ، وهى تُضيء الغُرفة
كلها بضوء ساطع .. ورأيتُ عدداً من الشموع الموقدة فى ركن
الغُرفة ، فقلتُ فى نفسى لا بد أن أحداً أوقدها ، وهكذا وقفتُ
متحيرة ، وأخذتُ أبحثُ فى المكان ، عما يمكن أن يكون قد
أوقد هذه الشموع ..

ولم تطلُ حيرتى كثيراً .. فبعد قليل سمعتُ صوتاً يرتل القرآن ..
كان صوتاً حسناً رقيقاً وخاشعاً ، وكان يأتى من باب مفتوح
داخل الغُرفة ، فتوجهتُ إليه فى حذر ونظرتُ من خلاله ،
فرايتُ مسجداً صغيراً ، مُضاء بقناديل وشمعدانات ، ورأيتُ
سجادة مفروشة فى محراب المسجد ، يجلس عليها شابٌ
حسن الملامح والخياب ، وأمامه مصحف يرتل منه القرآن
ترتيلاً ، فتعجبتُ من ذلك ، وألقيتُ عليه السلام ، فقطع ذلك
الشابُ قراءته وردَّ على السلام ..

فقلتُ له بحق الله ، بحق ما نلوة من كلام الله ، أرجو أن
تُخبرنى بما جرى لهذه المدينة .. كيف صار كل أهلها مستخوفين
حجارة هكذا ، ولماذا نجوت أنت من بينهم ؟ وكيف نجوت ؟
فقال الشاب : لقد أقسمتُ على بالله وكلامه ، وهأنذا أُجيبك
فأنصتى وأنعطى ..



وشرد الشاب قليلاً .. ثم قال :

- هذه المدينة المسخوطة هي مدينة والدي ، لقد كان أبي ملكاً عليها ، وكانت أمي ملكة ، ولا بد أنك رأيتهما وأنت في طريقك إلى مسخوطين حجارة مع بقية أهل المدينة .. لقد كان أبي وأمي وأهل هذه المدينة مجوساً يعبدون النار من نون الله الواحد القهار ، الملك الجبار .. ولم يكن أبي قد رزق بولد ، حتى رزقه الله بي في آخر عمره ، فعهد أبي بي إلى الصربين

حتى كبرتُ وصارَ عُمرى خمسَ سنواتٍ ، وكانتُ لذيلاً عجوراً
طاعنةً في السنِّ ، وكانَ يَكْرُمُها لكبرِ سنِّها ، ويَحْسِنُ إليها ،
وهو يظُنُّ أنها على دينِ المَجْنُوسِ ، لكنها كانتُ مُسْلِمةً ،
وتُخْفِي إِسلامَها عن أبي ، فلما كبرتُ قليلاً سلَّمَنِي أبي إليها
قائلاً : خُذِي ابْنِي هَذَا فَرَبِّيه وَعَلِّمِيهِ أَحْوالَ الدُّنْيَا ، وَاحْسِنِي
تَرْبِيَّتَهُ ، فإنا لا آمنُ أحداً غَيْرَكَ عَلَيْهِ .. فَاخَذْتَنِي العَجُورُ
وَعَلَّمَنِي أَرْكانَ دينِ الإِسْلامِ ، مِنَ الشَّهادَةِ والصَّلَاةِ والرُّكَاةِ
والصَّيَامِ وَالْحَجِّ ، وَقَامَتْ بِتَحْفِيزِي الْقُرْآنَ سِرًّا ، حَتَّى اتَّصَفْتُ ،
كُلُّ ذَلِكَ وَأَنَا أَكُنُّمُ أَطْرَفاً وَامْرئى عن أبي وأهلِ المَدِينَةِ ، حَتَّى
لا يَقْتُلَنِي وَيَقْتُلَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنَةُ الطَّيِّبَةُ ..

وسكتَ شاربِداً في حُرْنٍ ، ثم قال :

- وَقَدْ مَاتَتِ العَجُورُ الْمُؤْمِنَةُ بَعْدَ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَزَادَ
أَهْلُ المَدِينَةِ فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ وَضَلَالِهِمْ ..

وَذَاتَ لَيْلَةٍ سَمِعَ الْجَمِيعُ صَوْتًا يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ ، كَأَنَّهُ صَوْتُ
الرَّعْدِ الْقَاصِفِ .. وَكَانَ الصَّوْتُ يَقُولُ مُنْذَرًا : يَا أَهْلَ هَذِهِ المَدِينَةِ ،
ارْجِعُوا عَنْ عِبَادَةِ الْفُيْرَانِ ، وَاعْبُدُوا اللَّهَ الْمَلِكَ الرَّحْمَنَ ..

فلما سَمِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ هَذَا الصَّوْتَ الْمُدَوِّيَّ كَالرَّعْدِ ، فَزَعُوا
وَاتَّجَهُوا إِلَى أَبِي ، فَطَمَّائِهِمْ قَائِلًا : لا يَفْزَعُكُمْ هَذَا الصَّوْتُ ،
وَلَا يَرُدُّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ .. فَانْصَرَفَ النَّاسُ آمِنِينَ ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى



عبادة الديرار ، حتى وصى عادَ فمكّر سماغ الصوت في
نفس المبعاد من العام التالي ، وانعام الذي بلاه ، ولكن اهل
المدينة استمروا على كفرهم وعبادتهم ، فبرل عليهم مقت
وسحط من السماء ، مسخهم حجاره سوداء ، كما رايت في
كل مكان بالعدييه ولم ينج من هذا البلاء احد غري . ومند

ذلك اليوم ، واما لا انقطع عن الصلاة والصيام وتلاوة
القرآن ، وقد بسب من هذه الوحدة

فلما انتهى الشاب من كلامه ، تعجبت صاحبة البيت مما
سمعت وقالت له

- ايها الشاب ، انا من مدينة (بغداد) وقد كنت في رحلة مع
أختي ، إلى بلاد الهند ، لكن ريس المركب والسحارة قد صلوا
طريقهم ، حتى دخلنا هذا البحر ، ووصلنا إلى هذه المدينة ،
ولعل ذلك حدث لحكمة يعلنها الله . وهو ان انا إلى هنا ،
وأنت من وحدتك هل تأتي معي الى مدينة (بغداد) ؟

فلما سمع الشاب حديثها ، ارتاح قلته لها ، ووافقها على
الذهاب معها ، بشرط ان تحقق له رغبته ، ويكور زوجته .

فقالت صاحبة البيت موافقة

- ان شاء الله نتزوج بمخرد ونصلوا إلى المركب ، والنعائنا
بأختي وريس المركب والسحارة

وهكذا بدا الشاب والفتاة يجمعان كل ما خف حملة وعلا
تمنه من تحف وجواهر العصر ، ثم غابرا العصر ، وسارا في
شوارع المدينة ، حتى وصلا إلى المركب ، فوحدا الأختين
والأخريين في انتظارهما على بحر من البحر . وسالت الأختان
أختيهما عن هذا الشاب الذي معها ، فقصت عليهما قصته ،



وكَيْفَ أَنَّهُ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي نَجَّاهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، مَنْ بَيْنَ جَمِيعِ
سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، وَاخْبَرَتْهُمَا بِأَنَّهُ سَيَأْتِي مَعَهُمْ إِلَى بَغْدَادَ ،
وَأَنَّهُ قَدْ اخْتَارَهَا لَهُ زَوْجَةً ، وَأَنَّهُمَا قَدْ أَحْضَرَا مَعَهُمَا الْكَثِيرَ
مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّادِرَةِ ..

فلما سمعت الأختان ذلك ، وشاهدتا الجواهر النادرة ،
تملكنهما الغيرة ، وأكل الحسد قلبيهما من أختيهما ، التي
فازت بالزواج الملكي ، وكل هذه الجواهر الثمينة ، وسالت
الدُموع من عيني صاحبة البيت ، وهي تواصل حكايتها
للخليفة قائلة :

- وعندما ركبنا المركب عائدتين إلى بغداد ، كانت أختاي قد
اتفقتا على المكر بي ، والكيد لي .. وما حدث بعد ذلك كان
مؤلماً وقاسياً ، ولم أنصنر حدوثه من أختي برغم إحساسني
إليهما .. فما إن خرجنا من بحر الخوف الذي نُهنا فيه ، إلى
بحر الأمان ، متخذين طريقنا إلى بغداد ، حتى سارعت أختاي
بإلقاءي أنا وذلك الشاب في البحر ، حتى تستوليَا على كل
شيء .. أما الشاب المسكين فقد غرق ، وأما أنا فقد كتبتُ لي
النجاة ، فأخذتُ أسبح حتى وصلتُ إلى جزيرة تتصل بشاطئ
البحر ، قصعدتُ إليها ، وجلستُ أستريح ، قبل أن أواصل
سبيري ، فرأيتُ حية ضخمة مثل جذع النخلة تجرى نحوي ،
وكانها تستغيثُ بي ، ورأيتُ خلفها ثعباناً أسود قد قبض
على ذيلها ، حتى أسال دمها ، وهو يريد قتلها .. فأمسكتُ
حجرًا ضخماً ، وألقيته على رأس الثعبان فقتلته ، واخترقت
الحية طائفة من أمامي فلم أعد أراها .. ثم جلستُ أستريح ،



فَنِمْتُ فِي مَكَانِي وَأَنَا أَفَكِّرُ فِيمَا حَدَّثَ لِي مِنْ عَدْرِ أُخْتِي ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ وَجَدْتُ أَمَامِي فَتَاةً ، فَتَعَجَّبْتُ وَسَأَلْتُهَا : مَنْ تَكُونِينَ ؟
فَضَحِكَتِ الْفَتَاةُ وَقَالَتْ : أَنَا الْحَيَّةُ الَّتِي خَلَّصْتَنِي مِنْ ذَلِكَ
الثَّعْبَانِ .. لِتَعْلَمِي يَا أُخْتِي أَنَّنِي جَبِيَّةٌ وَأَنَّ هَذَا الثَّعْبَانِ جَبِيٌّ ،
وَأَنَّكَ لَمَّا خَلَّصْتَنِي مِنْ عَدَوِّي طَرَفْتُ مَعَ الرِّيحِ ، حَتَّى وَصَلْتُ
إِلَى الْمَرْكَبِ الَّتِي فِيهَا أَخْيَاكِ فَنَقَلْتُ كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ جَوَاهِرٍ

وبضائع إلى بيتك في بغداد ، ولم أكتف بذلك ، بل إنني
سحرتُ أختك إلى كلبتين سوداوين ، بعد أن علمتُ كل
ما حدث لك منهما .. والآن قومي حتى أطيّر بك إلى بيتك ،
فلما طارت بي إلى البيت رأيتُ هاتين الكلبتين ، فقالت لي
الحيّة الجنيّة مهذّدة : إذا لم تضربي كل واحدة منهما كل يوم
ثلاث مائة سوط ، حضرتُ إليك وسحرتُك مثلهما ، وهذا هو
سببُ ضرّبي لهما يا أمير المؤمنين .. وهذه هي حكايتي
كاملة .. فبهت الخليفة (هارون الرشيد) مما سمع ..

(يُتْبَعُ)

رقم الإيداع : ٤٣٧٩

الترقيم الدولي : ٤ - ٣٤٦ - ٢٩٦ - ٩٧٧